المحاضرة: 09

مناهج تعليم اللغات

2-المنهج التواصليّ (ديل هايمز Dill Hymes)[1]

1-التعريف:

بعدما تم تعريف المنهاج في المحاضرة السابقة نتناول هنا تعريف مصطلح الاتصال، كما يلي:

- في اللغة:

يرى ابن منظور في كتابه لسان العرب أن الاتصال: من فعل وصل وصلاً ووصولاً، واتصالا: وصل وصلت الشيء وصلاً وصلة، والوصل ضد الهجران.

ورغم ما قيل في هذا الإطار يبقى الأهم هو الإشارة إلى ذلك الفرق الدقيق بين مصطلحين كثيري الشيوع وهما" التواصل" و" الاتصال"، حيث أن الأول(التواصل) يحدث مطلقا بين عنصري هذه العملية، بينما الثاني(الاتصال) قد يحدث بواسطة أو دونها، باعتبار أن أغلب المراجع التي استعملت كلمة" اتصال" استخدمتها في إطار الوسائل البيداغوجية اثناء العملية الاتصالية،

- في الاصطلاح

نجد من الباحثين من ينسب البوادر الأولى لظهور هذا المصطلح إلى تلك المجهودات التي سبقت الابحاث النظرية حول الانظمة التواصلية التي بدأت منذ نهاية القرن التاسع عشر في الفيزياء وفي الرياضيات.

ولكن على المستوى اللساني هناك من يرجع الارهاصات الأولى لظهور هذا المصطلح في ارتباطه بتعليم اللغات، حينما دعا" أفريل هووات "إلى تعليم اللغات من منظور اتصالي، في القرن السابع عشر حين كتب "جون لوك" عن تعلم اللغة قائلا: يتعلم الناس اللغة من أجل التعامل مع المجتمع، وتحقيق الاتصال.

إلى أن يأتي وسط القرن التاسع عشر تقريبا، فينتبه معلمو المهاجرين إلى أمريكا آنذاك، إلى طرق تعليم اللغات بأسلوب اتصالي فنجد مصطلحات كالطرق الطبيعية وطرق المحادثة والطريقة المباشرة، والمدخل الاتصالي،

وهناك من يرى أنه لم يظهر إلا مع مطلع ستينيات القرن الماضي أي القرن العشرين، لما شرع لدى البريطانيين في انتقاد طرق تعليم اللغات الأجنبية لديهم،

ويعدّ عالم اللّغة الاجتماعي ديل هايمز (Dill Hymes). أوّل من صاغ مصطلح الكفاية الاتصالية وكان ذلك سنة **1972م** وينطلق هذا المنهج من تصور لهدف تعليم اللغات. كان **هايمز** قد صاغه في مصطلح هو: الكفاية التواصلية (Competence Communicative) التي تعني قدرة الفرد(المتعلم) على استعمال اللغة في مواقف اجتماعية مختلفة، بإيصال وتفسير الرّسائل التواصلية وإدراك معانيها.

وقد تأثر هذا المنهج بأبحاث إثنولسانية (Etno-Linguistique سوسيولسانية وتداولية) (Pragmatique)، ويكمن القاسم المشترك، بين هذه الحقول المعرفية في العناية بالمظهرين الوظيفي والتفاعلي للغة، واعتبارها فعلا تواصليا لا يمكن إدراكه إلاّ كسلوك إنساني شامل داخل وضعيات تفاعلية وضمن مقامات تبليغية، لأن معرفة لغة، يعني استعمالها والتفاعل بها مع الناطقين بها بتبادل المعلومات معهم والتأثير فيهم والتأثر بهم، وإقناعهم والاقتناع بوجهات نظرهم ويتم كل ذلك عن طريق أفعال لغوية مختلفة، كالوعد والوعيد والإثبات والإنكار والأمر والنهي والتساؤل والتعجب، وأتباع استراتيجيات كلامية...

2- الخلفيات النظرية للمناهج الإتصالية:

عرضنا سابقا النسق الاجتماعي لنشأة الكفاية التواصلية في تعليم اللغات التي انتهت بنشأة الاتجاه التواصلي، وقد أشرنا إلى أنّ التغيير الذي حدث هذه المرة، بظهور مقاربة الكفاية التواصلية، هو تغيير مهم للغاية، باعتبار أن هذا التغيير شمل الرؤية برمتها،

---

1 - */ ديل هاثاواي هايمز، امريكي (1927- 2009)، لغوي، اجتماعي، أنثروبولوجي.

ولم يكن باتجاه اللغة ذاتها فقط بل تعداها إلى الكيفية التي توصف بها اللغة، وفي كيفية تحديد طرق تعلمها وتعليمها، والقواعد التي تنظمها، وفي المضامين التعليمية للغة أيضا.

كما أنّ هذا التحول ما كان عشوائيا، وإنمّا حدث بسبب مختلف التغيرات التي حدثت في ميادين عدّة، منها: بروز نظريات اللسانيات الاجتماعية، التي أصبحت تركز على أسس وطرق استعمال اللغة في البيئة الاجتماعية للمتعلّم، وعلى المهام اللسانية التي يمكن ضمانها جراء ذلك

ولكن ما يجب الإشارة إليه هو ظهور المنهج الوظيفي (الاستعمالي) بمختلف مدارسه قبل ذلك حيث كان سابقا في انتشاره عما نسميه اليوم بتدريس اللغة وفق الكفاية التواصلية، في بريطانيا أثناء السبعينيات من القرن الماضي، حيث بدأت هذه المقاربة بالأعمال التي أجراها المجلس الأوروبي (d'Europe Conseil) عندما كلّف الباحثين: فان أيك(Van EK)، وألكسندر (Alexander) سنة 1975 م، أتبعت بالتفسيرات والبيانات لهذه المقاربة التي كانت من طرف ويلكنز (Wilkins) وودسون(Widdowoson))، وسنكلر (Sinclair)، وكاندلن ((Candlin، وترمبل(Trimnle) وغيرهم سنة 1976م

وإذا اعتبرنا أنّ مقاربة النسق النحوي في تعليم اللغات، أساسها مجموعة من المحتويات التركيبية المترابطة، فإن المقاربة الوظيفية في الأمر ذاته، تتأسس على سلسلة من الادوار الاجتماعية التي تحققها اللغة لمتعلميها. وما ينبغي الإشارة إليه في المقاربة الثانية أنّ اختيار القواعد التركيبية، يكون على أساس الأدوار الاجتماعية التي تؤديها اللغة. ونقصد بهذا أن عملية ضبط الأدوار اللغوية هي التي تأتي في المقام الأول، وعلى خلفية ذلك يكون تحديد الأبنية التركيبية، التي يستعملها متعلم اللغة في التعبير بها عن تلك الأدوار وليس العكس

3-خصائص المنهج (المقاربة) التواصلي(ة)

أ- من حيث المفاهيم اللغوية:

- إن اللغة نظام للتعبير عن المعنى.

- الوظيفة الأولى للغة هي تحقيق التفاعل والتواصل. لتحقق الرغبة في الاشتراك داخل الحياة الاجتماعية، ومن هنا فمتعلم اللغة يسهل عليه اكتساب المهارات اللغوية المختلفة باندامجه في الوسط اللغوي، وهذه ضرورة بيداغوجية لابدّ من توافرها لتحقيق النجاح المتوخى من تعّلم اللغة عامة واللغة الأجنبية خاصة.

- بنية اللغة تعكس الوظائف المستخدمة فيها، ومواقف التواصل التي توظف فيها. فلا يمكن أن تتمّ العملية التواصلية بنجاح دون اكتساب مهارات التواصل التي تتمثّل في مهارتي الاستقبال، وهما (الاستماع، والقراءة)، ومهارتي الإرسال، وهما (الحديث، والكتابة).

- الوحدات الأولى للغة ليست في مجرد قواعدها أو ملامح بنيتها، ولكنها في فئات الوظائف التي تستخدم فيها والمعاني التي تشتمل عليها مادة التواصل. وبذلك يؤكّد أصحاب هذه النظريّة أهميّة البعد الدلاليّ والتّواصليّ بدلاً من أهميّة البعد النحويّ، وجاءت الطريقة الاتّصاليّة في تعلّم اللغة وتعليمها انسجاماً وهذه النظريّة.

ب- من حيث المبادئ التي يستند إليها المدخل التواصلي في مختلف حالات العملية التعليمية:

- إعطاء الأولوية للجانب المنطوق من اللغة، وذلك بالتركيز على الخطاب الشفوي. ومبرر ذلك هو أنّ الظاهرة اللغوية في حقيقتها أصوات منطوقة قبل أن تكون حروفا مكتوبة. فالخط تابع لّلفظ وملحق به، ولهذا السبب بالذات يجب:

-الاهتمام أوّلا بالأداء المنطوق قبل اهتمامنا بالأداء المكتوب

- أنّ تعليمية اللغات تهدف إلى إكساب المتعلم مهارة التعبير الشفوي، لأنّه هو الطاغي على ما سواه في الممارسة الفعلية للحدث اللغوي.

- **حينما** نبدأ بالمنطوق يعني ذلك أنّنا التزمنا بالترتيب الطبيعي والتاريخي للغة، فاللغة عبر مسارها التحوّلي كانت منطوقة قبل أن تكون شيء آخر (مكتوبة.)

- ولذلك يجب تقديم حوار مختصر أو عدد من الحوارات القصيرة، ويسبق ذلك تحفيز للدارسين (بربط مواقف الحوارات بخبراتهم الاتّصاليّة المحتملة)، ومناقشة الوظيفة، والموقف، والناس، والأدوار، ودرجة رسميّة اللغة التي تتطلّبها الوظيفة والموقف (في المراحل المبتدئة، وحين يعرف الدارسون جميعهم اللغة الأولى نفسها، يمكننا تقديم الحافز بلغتهم الأصليّة).

ينبغي الاستعانة بنصوص عربية من مصادر أصيلة كأن تكون صحفا أو مجلات أو نشرات عربية أو غير ذلك من مصادر تستخدم العربية فيها بشكل طبيعي.

- ينبغي تدريب المتعلمين على التفكير في صيغ متعددة وأساليب مختلفة للتعبير عن المعنى الواحد. مثلا: نعبّر عن معنى الجملة "حضر محمد الدرس أمس" بعدّة صيغ تتراوح بين التقديم والتأخير، كما نستطيع التعبير عن التعجب أو الاستفهام أو النفي بعدّة صيغ وأساليب.

- ينبغي أن تتاح للمتعلمين الفرصة كي يعبّروا عن انطباعاتهم وأفكارهم وآرائهم في كل ما قرأوه أو استمعوا إليه.

- ينبغي تدريب المتعلمين على تفهّم السياق الاجتماعي الذي تستخدم فيه اللغة.

- إن المعلّم مطالب بالتفكير في مجموعة من المواقف التواصلية التي تيسر للمتعلم استخدام اللغة استخداما حيا، وليس ترديد ببغائي لمفردات وجمل.

- النشاط اللغوي أيضا له دور في تنمية مهارات التواصل، مثل تمثيل الدور وأسلوب حلّ المشكلات والألعاب اللغوية.

- أما عن دور اللغة الأم فتقلّ إلى الدرجة التي لا تكاد تذكر. يتمّثل هذا المبدأ في الطابع الاستقلالي لكل نظام لساني وفق اعتباطيته المتميّزة التي تجعله ينفرد بخصائص صوتية ودلالية وتركيبية تتميّز بها من سائر الأنظمة اللسانية الأخرى، ولذلك فإنّ العملية التعليمية الناجحة تقتضي إدماج المتعلم مباشرة في الوسط الاجتماعي للغة المراد تعليمها، مع الحرص الشديد على عدم اتخاذ لغة الأم وسيطا لتعلم اللغة الثانية أو الأجنبية حتى وإن كانت اللغتان متقاربتين جدا، لأن ذلك سوف يؤدي إلى الإحباط في امتلاك النظام القواعدي للغة الثانية.

4-خطوات الدرس في ضوء مفاهيم المدخل التواصلي:

-يقدم المعلم حوارا أو عدة حوارات مصغرة مسبوقة بتمهيد يربط المعلم فيه بين المواقف التي تدور حولها هذه الحوارات وبين خبرات التواصل التي يتوقع مرور المتعلمين بها. وهذا من شأنه أن يستثير دافعيتهم. وهنا يسمح لاستخدام اللغة الأم كلغة وسيطة عند استثارة دافعيتهم.

- يقدم المعلم انموذجا لنطق الحوارات. وذلك بأن ينطق كل جملة على حدة، ثم يلقي الحوار كاملا ويحاكيه المتعلمون بعد ذلك على مختلف المستويات (جماعيا وفئويا وفرديا).

- تلقى مجموعة من الأسئلة والأجوبة التي تستند إلى الحوارت والمواقف اللغوية التي تدور حولها.

- ثم تلقى مجموعة من الأسئلة والأجوبة المتصلة بالخبرات الخاصة للمتعلمين ومواقفهم الشخصية ذات الصلة بالحوارات.

- يستخلص المعلم بعد ذلك أحد التعبيرات التواصلية الواردة بالحوار، ثم يحلّله أمام المتعلمين ويشرحه ويوضح الصلة بينه وبين الموقف الاجتماعي الذي استخدم فيه، وكيف عبّر عن الوظيفة التي تصدى لها.

- يكلّف المتعلمون بعد ذلك بالتعميم في إطار النماذج التي قدّمت وفي ضوء تحليلهم للقواعد التي ستحكم التعبيرات التواصلية.

- يتم تنظيم بعض أوجه النشاط التواصلي التي يفسّر المتعلمون من خلالها الأنماط اللغوية المستخدمة. وذلك بالطبع في ضوء مستوياتهم التعلمية والمعارف اللغوية عندهم.

- إذا كانت الأنشطة أنشطة تعرُّف فهي أنشطة إبداعية أو إنتاجية productive يكلف المتعلمون فيها بإنتاج جمل وعبارات بلغتهم. وتتدرج هذه الأنشطة لتبدأ بالأنشطة الموجهة وتنتهي بالأنشطة الحرة. لأنّ تعليم اللغة ليس معناه حشو ذاكرة المتعلم بقواعد وضوابط ثابتة للغة معينة، وإنما يجب أن نجعل الطالب يشارك ويتفاعل إيجابيا مع المادة التعليمية هو الهدف، لأنّ تعليم اللغة لا يهدف إلى وضع لائحة مفتوحة من الكلمات ولكن إكسابه المهارات المناسبة ليسهم هو نفسه في ترقية العملية التعليمية وتحسينها
- ينسخ المعلم الحوارات التي قدّمت في الفصل إذا لم تكن واردة بالكتاب المقرر. ويعطي المعلم عينة من الواجبات المنزلية الكتابية.
- وأخيرا يتم تقويم الأداء اللغوي عند الدارسين شفهيا وتحريريا.